تجربتـان في تعليم اللغة العربية في الصومـال

عمــر محـمد ورسمة

مركز لغتي لتعليم اللغة العربية الدوحة –قطر

Binwarsame99@yahoo.com

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة إلى تقديم صورة عامة عن واقع تعليم العربية في الصومال، مع التركيز على تجربتين في ميدان تعليم العربية لغة ثانية في الصومال، تتمثل أولاهما في المدرسة التقليدية (الحلقات الشرعية) التي يشتهر بها الصوماليون والتي عرفت بتكريس جهودها في تعليم فنون العربية كالنحو والصرف والبلاغة والأدب والعروض ونحوها، بينما تتمثل الأخرى في تجربة المعاهد الخاصة التي انتشرت في الصومال على نطاق واسع في العقدين الأخيرين.

وتتركز الأهمية هنا على دراسة التجربتين المذكورتين على مستوى المقاربات التعليمية، والأهداف، والوسائل، ونوعية المناهج المتبعة في كل منهما، والبحث كذلك عن نقاط قوة وضعف كل منهما، وتقييم مخرجاتهما التعليمية، والبحث عن سبل تحديثها وفق نتائج لسانيات تعليم اللغات التي قطعت في العقود الأخيرة شوطًا بعيدًا في إثرا تعليمية اللغات لأهلها وللناطقين بغيرها.

وعلاوة على ذلك تقدم الورقة نبذة عامة عن تاريخ اللغة العربية في الصومال ومنطقة القرن الإفريقي، وتجيب عن بعض التساؤلات التي عُلّقت على عوامل عدم تعرُّب الصومال ومنطقة القرن الإفريقي تعرُّبا شاملا كالذي حدث في بعض مناطق الفتح الإسلامي

مقـدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. أما بعد.

تتبوأ اللغة العربية مكانة رفيعة لدى الشعب الصومالي، لكونها لغة القرآن الكريم والشريعة الإسلامية الخاتمة. ويرجع تاريخ اللغة العربية في الصُّومال والقرن الإفريقي إلى الهجرات العربية قبل الإسلام، ثم إلى اعتناق سكان المنطقة للدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري، والهجرات العربية المتعاقبة التي وصلت إلى المنطقة في مراحل متفاوته في ظل الإسلام.

وقد ظلت المساجد وخلاوي القرآن منذ ذلك الحين مقرّات دائمة لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية، لا تفارق الشعب في حله وترحاله، حتى أصبحت من قوة ارتباطها بحياة الشعب معلمًا أصيلًا من معالم الثقافة التقليدية للصوماليين. أما في العصر الحديث فقد نشأت إلى جانب تلك المؤسسات التقليدية مدارس ومعاهد وكليات اهتمت بنشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في ربوع البلد وذلك على اختلاف أهدافها ومناهجها.

وعلى الرغم من صعوبة تأطير اتجاهات وتجارب تعليم اللغة العربية في الصومال على طول تلك الفترة، فإن هناك مدرستين رئيستين في ميدان تعليم العربية في الصومال، أولاهما المدرسة التقليدية المتمثلة في (الحلقات الشرعية) التي تشتهر بها الصومال ومنطقة القرن الإفريقي، والتي عرفت باهتمامها بحفظ المتون وتعليم فنون العربية كالنحو والصرف والبلاغة والأدب والعروض ونحوها. بينما تتمثل الأخرى في تجربة المعاهد العربية التي انتشرت في الصومال على نطاق واسع في العقدين الأخيرين، والتي اشتهرت بعنايتها بتدريس مادتي الحوار، وعربية وسائل الإعلام.

وتهدف هذه الورقة إلى دراسة هاتين التجربتين على مستوى الفلسفات، والأهداف، والوسائل، ونوعية المناهج المتبعة في كل منهما، والبحث عن نقاط قوة وضعف كل منهما، وتقييم مخرجاتهما التعليمية، والبحث كذلك عن سبل استثمارهما في نشر اللغة العربية في الصومال،وسبل تحديثهما وفق نتائج لسانيات تعليم اللغات التي قطعت في العقود الأخيرة شوطا بعيدا في إثراء تعليمية اللغات لأهلها وللناطقين بغيرها.

ومن منطلق تجربتنا في تعليم اللغة العربية في الصومال في العقدين الأخيرين دراسةً وتدريسًا، وبهدف المشاركة بواقع تعليم العربية وتجاربه مع المؤسسات العربية المشاركة في **المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية** كانت هذه المشاركة بعنوان (**تجربتان في تعليم اللغة العربية في الصومال**)، آملا النجاح في تشخيص الواقع، وكشف موطن الخلل، واقتراح العلاج المناسب له. وأتناول الموضوع –باذن الله- في ثلاثة محاور هي:

- **المحور الأول**: مدخل إلى تاريخ اللغة العربية في الصومال.
- **المحور الثاني**: تجربة الحلقات العلمية في تعليم العربية في الصومال.
- **المحور الثالث**: تجربة المعاهد في تعليم العربية في الصومال.
- ثم التوصيات والهوامش.

المحور الأول : مدخل إلى تاريخ اللغة العربية في الصومال

نشأت العلاقة بين الجنس العربي ومنطقة القرن الإفريقي منذ وقت مبكر بفعل الجوار وسهولة الاتصال بين الجانبين، وتفوّق العرب –لاسيما سكان الجزيرة العربية- بالتجارة والملاحة وصناعة السفن[1] وتفيد المصادر بوصول العرب إلى المنطقة منذ ما قبل الإسلام[2] لأغراض اقتصادية، خصوصا بعد خراب سد مأرب الذي كان يشكل شريان الحياة في المنطقة الجنوبية للجزيرة العربية[3]

وبعد ظهور الإسلام في مطلع القرن السابع الميلادي[4] توثّقت العلاقة بين العرب وسكان المنطقة بشكل كبير، خصوصا بعد تتابع الهجرات العربية على الساحل الصومالي لأغراض مختلفة: منها التجارية، والاقتصادية، والدعوية، والسياسية[5]. وقد أثرت تلك الهجرات على المنطقة بشكل ملحوظ [6]، حيث اعتنق أغلب السكان الدين الإسلامي في المائة الأولى للهجرة[7]، وانتشرت الثقافة العربية الإسلامية بين السكان، ثم تطورت تلك التأثيرات والدعوات إلى حضارة عظيمة منذ القرن الرابع الهجري ، وتأسست في المنطقة سلطنات إسلامية عرفت في مصادر التاريخ بدول الطراز الإسلامي[8]، وهي سلطنة شوا، وإفات، وعدل، وشرخا، وهدية، ودوارة، وأربيتي، ومقدشو [9]

ولا غرو في أن تكون العربية في صدارة المعالم الإسلامية التي ارتبطت بها شعوب المنطقة ارتبطا وثيقا، بل أصبحت اللغة الرسمية للسلطنات الإسلامية، كما أصبح الحرف العربي القلم السائد في المنطقة منذ القرن الرابع الهجري وحتى وصول الغزو الأوروبي إلى المنطقة في القرن التاسع عشرالميلادي[10].

وهناك عدة عوامل ساعدت على نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الصومال منها:

1-الهجرات العربية التي تتابعت على المنطقة منذ القرن الأول الهجري، إذا كانت الصومال منطقة جذب سكانية بسبب ثرواتها الزراعية وطول سواحلها وأهمية موقعها الإستراتيجي. ومن هنا فقد استقبلت الصومال هجرات عربية متعددة، وأصبح القرن الإفريقي ملجأ للفارين من سوء الأحوال الاقتصادية، ومن بطش الحكام إبان الاضطرابات السياسية التي شهدتها الدول الإسلامية منذ مطلع العصر أموي. [11]

2- البعثات العسكرية التي بعثتها الدول الإسلامية إلى المنطقة لتعزيز ولاء المنطقة لمركز الخلافة، منها بعثة عبد الملك بن مروان بقيادة موسى بن جعثم في عام 77هـ [12] ، وبعثة الدولة العباسية إلى مقديشو بقيادة يحيى بن عمر العنزي في عام 149هـ [13] . وهذه البعثات على الرغم من أنّ أهدافها الرئيسية كانت سياسية بالدرجة الأولى؛ فإنها لم تخل من أهداف دعوية تعليمية، حيث نقل بعض المصادر أنهم أسسوا مراكز تعلمية لنشر تعاليم الإسلام [14]

3-نشأة الدول والسلطنات الإسلامية في المنطقة منذ القرن الرابع الهجري، ومن أهمها: سلطنة شوا 350-648ه، وسلطنة إيقات 648-805هـ، وسطلنة عدل 871-925هـ ، وقد كانت العربية اللغة الرسمية لتلك السلطنات[15]

4- جهود العلماء والدعاة في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المنطقة، ومن تلك الجهود المبكرة ما قدمه الشيخ يوسف الكونين المعروف بـ(أوبرخدلي) الذي ابتكر طريقة لتهجئة الحروف العربية وتعليمها للأبناء الصوماليين، وهي الطريقة المتبعة حتى اليوم في خلاوي القرآن في الصومال[16] . وهنا يأتي الحديث عن دور خلاوي القرآن في نشر العربية في الصومال، خاصة وأن سكّان منطقة القرن الإفريقي ومنهم الصوماليون يشتهرون بعنايتهم بحفظ القرآن الكريم، إذ تُرسل الأسر أبناءها إلى خلاوي القرآن منذ سن الخامسة، ليرتبط الطفل بالحرف العربي منذ نعومة أظفاره، ويستظهر القرآن عادة وهو دون العاشرة [17]

5-العلاقة الدائمة بين الصومال والجزيرة العربية حيث كان العلماء وطلاب العلم الصوماليون يسافرون لطلب العلم الشرعي وعلوم العربية في الحواضر العربية في اليمن والحجاز ومصر ونحوها ثم يعودن لنشر اللغة العربية والعلوم الدينية[18] ، وقد كان لتلك الرحلات العلمية أثرها الطيب في ترسيخ مكانة العربية .

تلك العوامل مجتمعة أدت إلى انتشار الثقافة العربية في المنطقة، وأصبحت العربية اللغة الرسمية للدول الإسلامية، واستخدمت في كتابة العقود كالبيع والشراء والنكاح ونحوها[19]. وليس هذا فحسب، بل تغلغلت العربية في حياة المجتمع، وأنشئت مراكز علمية ثابتة يدرس فيها العلوم العربية المختلفة، إلى جانب العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه والعقيدة والتاريخ، ومن أشهرها: هرر وزيلع ومقديشو ومركا وبرواوة.

ويبدو أن الصوماليين هضموا تلك الحقب التاريخية الطويلة جيدا، واعتبروا أنفسهم بفعل أصولهم العربية، وتراثهم العربي الإسلامي جزءًا لا يتجزأ من الشعب العربي[20]، ومن ثم انتدبوا لحمل الثقافة العربية الإسلامية ونشرها والحفاظ عليها، فكان لهم دورٌ بارز في هذا الميدان.

وممن شهد على انتشار الثقافة العربية في الصومال الرَّحالة العرب الذي وصلوا إلى المنطقة كابن بطوطة[21] الذي مر على الصومال في القرن الثامن الهجري، يقول عن سلطان مقديشو " سلمت عليه مع القاضي فرحب وتكلم بلسانهم مع القاضي ثم قال باللسان العربي: قدمت خير مقدم وشرفت بلادنا وآنستنا (22)، ثم تحدث عن طلاب العلم ودار الضيافة، ودور خاصة بطلبة العلم يقوم برعايتها الشيخ وهو حاكم المدينة، وكل ذلك يدل على رقي الثقافة العربية الإسلامية في الصومال.

لماذا لم تتعرب الصومال ومنطقة القرن الإفريقي بشكل كامل؟

على الرغم من تدفّق الهجرات العربية على الصومال ومنطقة القرن الإفريقي، واعتناق السكان الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري، وتفاعلهم مع الحضارة الإسلامية، وانتشار استخدام العربية كلغة تفاهم عامة في بعض فترات الدول الإسلامية[23]؛ فإن من الملاحظ أنّ منطقة القرن الإفريقي لم تتعرب بشكل كامل كما حدث في بعض مناطق الفتح الإسلامي كالسودان والمغرب العربي ومصر والشام والعراق، وإنما احتفظت العربية مكانتها كلغة ثقافية يتم تداولها بين المثقفين وطلبة العلم[24]، ويفهم ذلك من قول ابن بطوطة السالف الذكر عن حاكم مقديشو، وإشارة ياقوت الحموي إلى امتلاك سكان القرن الإفريقي لغة لا يفهمها العربي في قوله " لهم لغة برأسها لا يفهمها العربي"[25]. وهو ما عليه واقع الساحة اللغوية في الصومال حتى اليوم، إذ تُدرَس العربية لغة ثانية في المدارس والمعاهد(كما سنبينه في هذه الورقة). فما هي العوامل التي عرقلت اكتمال التعريب في الصومال، على الرغم من قرب اللغة الصومالية من العربية في المخارج والنظام الصرفي والنحوي أكثر من لغات سكان كثير من مناطق الفتح الإسلامي؟ [26].

فيما يلي نحاول أن نوجز أهم تلك العوامل:

1- لم تكن الهجرات العربية إلى الصومال منتظمة، ولم يكن عدد المهاجرين العرب إلى المنطقة كافيا لإحداث تعريب كامل للمنطقة كما حدث في مصر والسودان والمغرب العربي، بل كانت الجماعات العربية التي هاجرت إلى المنطقة تأتي حسب الظروف المعيشية والسياسية في الجزيرة العربية، بينما تحفظ لنا مصادر التاريخ هجرة قبائل عربية بأكملها إلى مصر والسودان والمغرب العربي كهجرة قبيلة قضاعة إلى مصر، وهجرة الهلاليين وبني سليم إلى شمال أفريقيا بل نقلت مصادر التاريخ وصول مئات من بطون قبائل عربية مختلفة إلى تلك المناطق[27]، وهو ما أحدث تغيرًا جيوسياسيًا كاملا للمنطقة، وأصبحت العربية لغة التفاهم بين المجتمع الإسلامي الجديد.

أما في القرن الإفريقي فقد حدثت نتيجة عكسية تمامًا، حيث اكتسب المهاجرون العرب - سواء من الهجرات القديمة التي تنحدر من أصولها بعض القبائل الصومالية، أو الهجرات المتأخرة التي وصلت إلى المنطقة في ظل الإسلام - لغات السكان الأصليين، أو أنشأوا لغات مولدة منها: اللغة السواحلية وبعض محكيات الحواضر الجنوبية للصومال كمقديشو ومركا وبراوة. ومما ساعد على انصهارهم مع السكان الأصليين أنّ كثيرًا منهم وصلوا إلى المنطقة للتجارة أو فرارًا من البطش السياسي، ولم يصطحبوا معهم زوجاتهم، ومن هنا تصاهروا مع السكان واندمجوا معهم، مع الاحتفاظ بالعربية كلغة ثقافية وعلمية [28]

2- لم يصل الفاتحون المسلمون إلى المنطقة، وإنما وصلت الدعوة الإسلامية عن طريق التجار والهجرات العربية.ومن المعلوم أن جيوش الفتح الإسلامي كان لهم أثر كبير في تعريب المناطق التي وصلوا إليها، خاصة وأن استقرار المجاهدين مع أسرهم كان يدعم تأثر السكان الأصليين بهم واكتسابهم اللغة العربية [29]

3- يتحدث الشعب الصومالي بلغة واحدة هي الصومالية، ويعتبر هذا أمرًا إيجابيا في تماسك الشعب؛ إلا أنه أثّر سلبًا على اكتمال عملية التعريب، إذا لم يعد الشعب الواحد الذي يقطن في تلك المساحة الواسعة والذي يتحدث بلغة أم واحدة- بحاجة إلى البحث عن لغة تفاهم مشتركة، كما هو حال بعض البلدان الإسلامية في أفريقيا كالسودان. فالبدوي الصومالي ينطلق للتسوق في أقرب قرية إلى سكنه، ولا يواجه أي تحدٍ يجبره على استخدام لغة مشتركة، ولو كان ذلك حاصلا لكانت العربية اللغة المشتركة الأولى بين الشعب، ولدعمت عملية التعريب.

هذه العوامل وغيرها قللت-فيما يبدو- من فرص تحقُّق تعريب شامل للمنطقة، وإحلال العربية محل اللغة المحلية؛ غير أن ذلك لا يعني في أي حال من الأحوال التقليل من شأن حضور اللغة العربية في الصومال، ولا من شأن الدرس اللغوي العربي فيها، بل على العكس من ذلك، أصبحت الصومال منذ القرون الأولى للهجرة ثغرا مهما من ثغور الحضارة العربية الإسلامية، وقبلة يقصدها طلاب العلم من داخل القرن الإفريقي وخارجه[30]، وتفاعل العلماء الصوماليون مع أقرانهم في الحواضر العلمية في الحجاز واليمن ومصر والعراق والشام، كما ساهموا في إثراء علوم العربية من خلال المؤلفات والشروح والمختصرات في مختلف الفنون[31]. وهو ما سيتضح لنا جليا في المحور التالي.

المحور الثاني: تجربة الحلقات العلمية في تعليم العربية في الصومال

نبذة عامة

تشتهر شعوب القرن الإفريقي ومنهم الصوماليون بعنايتهم بالحلقات العلمية التي تُدرّس علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة والعروض، إلى جانب علوم الشريعة كالتفسير والحديث والفقه. واحتفظ الصوماليون على تلك الحلقات حتى صارت ركيزة أساسية من ركائز الثقافة التقليدية التي لا تنفك عن الشعب في حله وترحاله[32]، ولا يخلو مسجد من المساجد حتى اليوم من حلقة علمية حول الفقه أو التفسير أو الحديث أو اللغة وفنونها.

وتبدأ رحلة الطالب مع هذه الحلقات منذ نعومة أظفاره حيث يلتحق بالخلوة القرآنية منذ سن الخامسة من عمره، ثم ينتقل إلى طلب العلم الشرعي وعلوم العربية بعد فراغه من حفظ القرآن الكريم، فيبدأ أولا بدراسة المتون والمختصرات في الفقة والنحو والصرف، ثم يدرس شروحها المختصرة، ثم يتدرج في الكتب والمنظومات المتوسطة حتى يصل إلى دراسة الألفيات والمطولات العلمية في كل فن[33].

أما نظام الدراسة في تلك الحلقات فهو نظام الانتظام ، ويشترط أن يكون الطالب متفرغا لطلب العلم، وتكفل الأسر المجاورة لمقر الحلقة طلاب العلم، كل أسرة طالبا أو أكثر حسب الظروف، حيث يتوجه الطالب إلى المراكز العلمية وليس معه أي شيء من الزاد حتى إذا انتظم في الحلقة يبحث شيخ الحلقة عن أسرة تكفله وتضمه إلى أبنائها[34]

مجالات الاهتمام والمناهج الدراسية

يتصدر فن النحو الفنون التي تدرس في الحلقات العلمية في الصومال، من منظور أن للنحو دورًا محوريًا في فهم جميع فنون التراث العربي الإسلامي من التفسير والفقه والحديث، والأدب، والعقيدة والفلسفة ونحوها، وهو ما عبر عنه شرف الدين العمريطي في منظومته بقوله::

وَالنَّحْوُ أَوْلَى أَوَّلاً أَنْ يُعْلَمَا ** إِذِ الْكَلاَمُ دونَهُ لَنْ يُفْهَمَا [35]

وتبدأ رحلة الطلاب في الحلقات الصومالية مع النحو من متن الأجرومية لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي(ت723هـ)، ثم شروحه كتحفة السنية لمحمد محي الدين عبد الحميد،(ت1972م) ونظم العمريطي للأجرومية لمؤلفه شرف الدين العمريطي (890ه وقيل 988هـ)، ونظم ملحة الإعراب لأبي محمد القاسم بن علي الحريري(516هـ)، ثم يتدرّج في الكتب المتوسطة: كالكواكب الذرّية شرح متمّمة الأجرومية لمحمد بن أحمد الأهدل (1880م) وقطر الندى وبلُّ الصدى لابن هشام الأنصاري (ت761هـ) ، ثم يدرس ألفية ابن مالك وشروحها كشرح ابن عقيل وشرح الخضري. وبعدها يتعمق الطلاب النوابع في مطولات النحو كشرح كافية بن الحاجب للرضي للاستراباذي(ت 684هـ وقيل 686هـ)، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، والأصول في النحو لابن السراج (ت 316هـ)، ونحوها.

أما فنّ الصرف فأشهر كتبه في الحلقات الصوماليةلامية الأفعال لابن مالك الأندلسي، وشرح نجله بدر الدين عليه، ونظم حديقة التصريف للعلامة الصومالي الشيخ عبد الرحمن الزيلعي ت(1880)، وشرحه للمؤلف نفسه(فتح اللطيف في شرح حديقة التصريف)، وكتاب(نثر الجواهر في قاعدة الصرف الفاخر للشيح عبد الرحمن بن الشيخ عمر الأبغالي الصومالي، ثم الشافية في علم التصريف لابن الحاجب (ت646هـ)، وكتاب الترصيف في علم التصريف للشيخ عبد الرحمن بن عيسى العمري.

وقد كان لعلم البلاغة نصيب من عناية الحلقات العلمية في الصومال باعتباره علما مهما لفهم الخطاب القرآني المعجز، ولتذوق نصوص الأدب العربي قديمه وحديثه. ومن الكتب التي تدرس في هذا الصدد: متن السمرقندية في البيان لأبي القاسم بن بكر الليثي السمرقندي (ت 888هـ)، وشرحها المسمى (حاشية الباجوري على متن السمرقندية) للعلامة إبراهيم بن محمد الباجوري (ت1277 هـ) وتحفة الإخوان في علم البيان للشيخ العلامة أحمد الدردير المالكي (ت1201هـ)، ثم نظم الجوهر المكنون في البلاغة لعبد الرحمن الأخضري الجزائري (ت953هـ) ثم تلخيص المفتاح للخطيب الغزويني(ت 739 هـ).

وعلاوة على ذلك فقد كان لتلك للحلقات باع طويل في دراسة الأدب العربي وعلم العروض، وتعتبر المعلقات العشر، ومقامات الحريري، ولامية العرب للشنفري، ولامية العجم للطغرائي (513هـ) ، وتائية أبي إسحاق الألبيري (ت 460هـ)-من أشهر المقررات الأدبية التي تدرس في المراكز العلمية في الصومال.

ومن أشهر كتب العروض التي تدرس في الصومال منظومة (الرامزة الشافية فى علم العروض والقافية)، المعروفة بالمنظومة الخزرجية لمؤلفها أبو محمد عبد الله بن محمد الخزرجى المالكى الاندلسى (626هـ)، ومنها أيضا (الجوهرة السامية في علم العروض والقافية) لمؤلفها للشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله المعروف بحاجي صوفي الشاشي المقدشي.

ويُطالب التلاميذ في جميع تلك الفنون بحفظ المتون والمنظومات، وتسميعها للشيخ، ولا يعتبر الدارس ملمًا في فن من الفنون إلا إذا حفظ متونه، وذلك من منطلق المقولة القائلة" من حفظ المتون حاز الفنون".

هذا ما يتعلق بدراسة العربية وفنونها مباشرة، ويضاف إلى ذلك ما يتعلمه الطلاب بشكل غير مباشر أثناء دراستهم لتفسير القرآن الكريم وأمهات كتب الحديث والفقه والعقيدة والمنطق وغيرها من فنون التراث الإسلامي، حيث يكتسبون كمًا كبيرا من المفردات العربية في شتى الموضوعات، ويكتسبون كذلك معلومات عن ترتيب أجزاء الجملة والأساليب العربية من نداء واستفهام وتمنى ونحوها، خاصة أن العلماء في تلك الحلقات، يهتمون في الوقوف على التوجيه اللغوي بالقدر الذي يستلزمه تفسير القرآن والحديث الشريف.

إسهامات علماء الصومال في إثراء فنون العربية

لقد كان للعلماء الصوماليين إسهامات فريدة في التأليف حول فنون العربية، كما أنهم وضعوا شروحا مفيدة لبعض مصادر العربية، نذكر منها: كتاب (كشف النقاب عن عقيلة الأتراب) للشيخ علي بن عبد الرحمن المعروف بحاج علي مجيرتين(ت1852ه) وهو شرح لـ (عقيلة الأتراب للإمام الشاطبي (ت923هـ)، و(حديقة التصريف في علم التصريف) للشيخ الزيلعي، وشرحه (فتح اللطيف في شرح حديقة التصريف) للمؤلف أيضا، و(نثر الجواهر في قاعدة الصرف الفاخر) للشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر الأبغالي، وهو شرح للامية الأفعال في الصرف لابن مالك الأندلسي، ومنها (الغيث العطال في شرح لامية الأفعال) للشيخ أبو بكر حسن مالم، و(الجوهرة السامية في علمي العروض والقافية) للشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله الشاشي المقدشي، وشرحه (كشف المعاني الخافية بشرح الجوهرة السامية) للشيخ أحمد بن عثمان الشاشي المقدشي، ومنها أيضا (قاموس النشيط المبني على القاموس المحيط للشيخ علي بن عبد الرحمن الفقيه.

وإلى جانت تلك الكتب المذكورة عشرات الرسائل والمختصرات المفيدة التي وضعها العلماء لطلابهم لتيسير الفنون للمبتدئين، كما كان طلاب العلم يقومون بتدوين المحاضرات من علمائهم وتفريغها في مذكرات خاصة، وتعرف تلك المختصرات في الصومال بالقاعدة، كالقاعدة الشيدلية في شرح لامية الأفعال في الصرف، وأصلها شرح لامية الأفعال بالصومالية للشيخ آدم بن محمود الصومالي، ثم قام بتعريبها وإخراجها الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عمر الأبغالي[36]

ومما سبق تبين لنا عمق جذور الدرس اللغوي في الحلقات التقليدية الصومالية، حيث يدرس فيها المصادر الأصلية للدرس اللغوي العربي بفنونه المختلفة، وهي ذات الكتب التي كانت تدرس في الحلقات العلمية في كل من الحجاز ومصر واليمن وموريتانيا وغيرها من حواضر العلم.

طريقة التدريس

الطريقة المتبعة في تدريس العربية في الحلقات هي طريقة الإلقاء والمحاضرة، حيث يتحلق الطلاب حول المعلم، ويشرع المدرس في ترجمة النص العربي إلى اللغة الصومالية[37]، والتعليق عليه وشرحه شرحا مبسطا أو مختصرا حسب مستوى الطلبة، وقد أصبحت تلك الطريقة على مر العصور طريقة تقليدية يكسبها الأجيال تلو الأجيال، لها برسمياتها ومصطلحاتها، وأسسها الشكلية والمضمونية.

وهذا يعني أن المدخل المتبع في دراسة العربية في المدرسة التقليدية الصومالية هو: مدخل القواعد والترجمة، وهي بذلك لسيت بدعًا من بين مدارس تعليم اللغات في العصور القديمة، إذا ظلت الطريقة المذكورة مسيطرة على ميدان تعليم اللغات في العالم منذ عصر الإغريق وحتى القرن العشرين[38].

وفيما يلي بعض مظاهر مدخل القواعد والترجمة في المدرسة التقليدية الصومالية:

1- تتمحور الأهداف التعليمية حول تدريب الدارسين على ترجمة النصوص من اللغة العربية إلى اللغة الصومالية، مع التبحر في القواعد والنحو، وقد أصبحت الترجمة المعروف بالمصطلح الصومالي بـ(لَقْبَة) نظام مقدسا له طقوسه وأدبياته التي ينبغي الالتزام بها حتى في حالة إذا كان الطلبة يفهمون العربية.

2- المبالغة في تعليم النحو والتركيز على ظاهرة الإعراب حيث يستغرق الطلبة في دراستها حتى ينتهوا إلى حلقات خاصة بإعراب المتون وآيات القرآن الكريم، والمعلقات السبع كلمة كلمة، مع العناية بعبارات الألغاز النحوية التي يصعب الانتباه إلى العامل والمعمول في أجزائها.

إيجابيات هذه المدرسة:

1- قدمت هذه المدرسة الكثير إلى ميدان تعليم العربية ونشرها والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للشعب الصومالي، كما أنها سدت فراغ تعليم العربية أكثر من ألف عام، وقد خرّجت على امتداد تلك الفترة علماء وجهابذة في علوم العربية المختلفة.

2- إجادة الطالب قواعد اللغة العربية إجادة تامة، إلى درجة التبحر في مسائلها، وقد رأينا فيما سبق أنها أخرجت مؤلفين ونحاة ساهموا في إثراء فنون العربية، كما لوحظ تفوق روادها في قواعد اللغة العربية في ساحات المعاهد والجامعات الإسلامية العالمية في كل من السعودية واليمن والسودان ومصر.

3- يتم تزويد الطالب بكم كبير من المفردات التراثية من خلال دراسة تفسير القرآن الكريم، والحديث، والفقه والعقيدة والمنطق، وكذا عند دراسته لمصادر اللغة والأدب. وهذا يساعد على سهولة تعايش الدارس مع التراث العربي، ونقله للأجيال، كما يساهم في إعداد الدعاة والمفسرين والفقهاء.

سلبيات هذه المدرسة:

1- أهملت هذه المدرسة البعد التواصلي للغة، حيث اختزلت مهمة تعليم اللغة بتعليم قواعد النحو والإعراب، واستظهار المفردات التراثية وترجمتها للغة الصومالية، وكل هذه الجوانب على أهميتها لا تخدم الهدف الحقيقي من دراسة اللغة وهو التواصل باللغة واستخدامها في المواقف الطبيعية.

2- المبالغة في استخدام اللغة الوسيط (الصومالية) أحال تعلم اللغة الهدف(العربية) إلى قضية هامشية، وتحول الهدف من العملية التعليمية إجادة لترجمة من الصومالية إلى العربية.

3- أهملت هذه المدرسة ثلاثة مهارات أساسية في تعليم اللغة هي الاستماع و التحدث والكتابة[39]، وجعلت كل تركيزها على مهارة القراءة، وانعكس ذلك على مخرجاتها، حيث بات طلابها غير قادرين على التواصل باللغة، بل ربما يحتاجون إلى مترجم عند زيارتهم للبلاد العربية. ومن ناحية أخرى ترتب على اعتماد ها على الترجمة، دون تعرض الطلاب للكتابة- ضعف مستوى الطلبة في مهارة الكتابة بنوعيها الآلية(الخط والإملاء) والإبداعية(التعبير والإنشاء).

4- أهملت التدريبات اللغوية التي تعتبر من أهم عناصر تعليم اللغات، إذ لا يوجد في نظام الحلقات تدريبات لغوية سوى التدريبات الشفوية حول الترجمة والإعراب وحفظ المتون. فلا غرابة إذن، في اصطدام روَّادها مع النظام الأكاديمي والاختبارات عند انضمامهم إلى التعليم النظامي في داخل البلاد وخارجها[40]

5- من ناحية المناهج تعتمد هذه المدرسة على كتب النحو العلمي[41] ، مع العلم بأن تلك الكتب لم توضع أساسا لتكون مواد تعليمية، فضلا عن أن تكون مواد صالحة لمتعلمي العربية لغة ثانية، وإنما هي وصف للقدرة الغريزية لدى متعلم العربية الأصلي في عصور الاحتجاج[42]، أو بعبارة أخرى هي: وصف لقواعد العربية كما كان يتحدثها العرب الفصحاء[43]. وقد نتج من اعتمادها على تلك الكتب عدة مشاكل متداخلة منها: إهمال جوانب نفسية وتربوية وتعليمية ينبغي مراعاتها عند تقديم اللغة للمتعلمين، ومنها أيضا إشغال المتعلمين بالشذوذ والظواهر التي لا يحتاجون إليها في حياتهم الوظيفية[44]، مقابل إهمالها للأنماط اللغوية المستعملة، وعزلها تعلّم النحو من الواقع، حيث تدور أغلب الأمثلة حول عبارات تراثية لا تفيد في الاستخدام الوظيفي للغة . وهذا يقلل من فرص إنتاج الطلاب جملا صحيحة ومقبوله في المواقف الطبيعية.

6- لا تناسب طريقة التدريس فيها الأطفال والمتعلمين المبتدئين، إذ لا يستطيع الطفل، وكذا الطالب المبتدئ، استيعاب المصطلحات الجافة التي تحفل بها كتب النحو العلمي ، خاصة في ظل غياب التدرج في الطرح، إذ يواجه المبتدئون منذ الوهلة الأولى ظاهرة الإعراب وعلاماتها الأصلية والفرعية، والمعربات بالحروف والمعربات بالحركات ونحوها من القضايا المعقدة.

7- اعتماد هذه المدرسة على طريقة الإلقاء والمحاضرة وترجمه النصوص، جعل دور المتعلم فيها سلبيًا ينحصر في التلقي، حيث لا يوجد أنشطة أو وسائل تعليمية. ولهذا يجد المتعلم نفسه بين خيارين أحلاهما مرّ: التسرُّب من الحلقة، أو الاستمرار فيها آليا دون فهمٍ لفترة طويلة.

8- تعلم هذه المدرسة معلومات عن اللغة أكثر مما تعلم اللغة نفسها، لأن الطالب في الحلقات يبدأ رحلته مع العربية من دراسة النحو والصرف، ثم يتوسع فيدرس الأدب والبلاغة والعروض، ولكنه لا يتعلم كيف يوظّف ذلك الكمّ الهائل من المعلومات التي تعلمها في المواقف الطبيعية، إنتاجا أو استقبالا. ولا يخفى علينا الخطأ الترتيبي في البدء بتعليم القواعد والفنون قبل تعلّم اللغة، وكان من المفترض أن يتعلم الطالب اللغة والمفردات الأساسية كالتحية والتعارف والأسرة والضمائر والسكن والعمل ونحوها من الموضوعات الأساسية، ثم ينطلق لتعلم القواعد لصون لسانه من الخطأ، ومن ثم يتعلم الأدب والبلاغة للتعرف على أساليب الكلام العربي ولتذوق النصوص.

المحور الثالث: تجربة المعاهد في تعليم العربية في الصومال

نبذة عامة

ظهرت تجربة المعاهد الخاصة في تعليم العربية في الصومال في مطلع تسعينات القرن الماضي، ضمن طفرة مؤسسات التعليم الأهلي التي شهدتها الصومال بعد انقطاع الأمل بعودة المؤسسات الحكومية والنظام التعليمي إلى البلاد، نتيجة استفحال الصراع بين الجبهات المتناحرة على تركة الحكومة المخلوعة.

ويعتبر معهد الإمام البخاري لتعليم اللغات الذي تأسس صيف عام 1993في العاصمة مقديشو[45] رائد هذه التجربة التي أصبحت فيما يعد نظاما تعليميا رائجا في جميع مناطق "الصومال الكبير" التي تضم إلى جانب جمهورية الصومال، جمهورية جيبوتي والولاية الصومالية في كل من إيثوبيا وكينيا[46].ولعب المتخرجون من المعهد دورا أساسيا في نشر التجربة في العاصمة والمحافظات المختلفة، حيث افتتحت فيها عشرات المعاهد والمراكز على نهج معهد البخاري خلال سنوات، وأصبح اسم المركز بالتالي علامة تجارية رائجة يستخدمها مؤسسو مراكز تعليم العربية لجذب اهتمام المتعلمين.

ويبدو أن ظهور هذه التجربة كان بمثابة ثورة على الأنظمة التقليدية في تعلم العربية في الصومال التي فشلت في تحقيق رغبات المتعلمين التواصلية بجناحيها الإنتاجي والاستقبالي، حيث يتخرج فيها الطالب- بعد عقد من الدراسة وحفظ المتون والمنظومات- وهو غير قادر على التواصل باللغة.
يقول الأستاذ **عمر محمود** مؤسس معهد البخاري وأحد أصحاب هذه التجربة" أكاد أجزم أن معهد البخاري كان أول مبادرة لدراسة اللغة العربية في الصومال بطريقة تواصلية لا تقل واقعية وسهولة من الطريقة التي كانت تدرس بها اللغة الإنجليزية، فقبل معهد البخاري كانت المعاهد العربية تستخدم كتبا لا تمت بأي صلة بالواقع، مثل قصص الحيوانات، ومكر الثعلب وصلابة الأسد وجبن الضبع ونكت ما يجري في الغابة .. إلى جانب دروس عن الحج والصوم والعبادات. ومن هنا فلم يكن من الغريب أن ترى طالبا من متخرجي الثانويات وكليات اللغة العربية، ولا يتحدث العربية إلا من خلال تلك الكتب. وهو ما شوه صورة اللغة العربية حتى في صفوف محبيها، حيث يذهب الطالب إلى المدارس العربية وقد شغفه حبًا لهذا الوعاء الزاخر بالحضارة الإسلامية، ثم يرجع مهيض الجناح ولسان حاله يقول "هي لغة الدين والحيوانات"، بينما يذهب الطالب إلى المعاهد الإنكليزية، فإذا هو بعد ثلاثة أشهر قادر على المحادثة باللغة الإنكليزية، ومتحمس لمواصلتها. وليس هذا أن الشعب الصومالي كان يفضل الإنكليزية على العربية، وإنما أصحاب تلك قدموها بشكل يتواءم مع حاجيات العصر فيما أصحاب هذه شوهوها وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا" [47]
ونشتشف من هذا الخطاب ما كان عليه ميدان تعليم العربية في الصومال من الانفصام الشديد بين متطلبات الواقع وما يدرسه الطلاب في الفصول، وانعكاسات ذلك على دافعية المتعلمين نحو اللغة العربية.
وإلى مثل ذلك يشير الأستاذ **قاسم أحمد سهل** القاسمي وهو أحد مؤسسي معهد البخاري "كانت انطلاقة التجربة الجديدة لتعليم اللغة العربية في عام 1993 في معهد البخاري للغات بالعاصمة مقديشو في وقت كانت البيئة غير مواتية لتبؤ اللغة الإنجليزية على الميدان، حيث كانت تستفيد من وجود قوات دولية وشركات أجنبية في البلاد[48]، يضاف إلى ذلك خلو الميدان من كتب دراسية حديثة للغة العربية مدعمة بالاستماع على غرار كتب تعليم اللغة الإنجليزية، ووضآلة فرص العمل لأصحاب الثقافة العربية، كل ذلك أدى إلى انتشار نظرة سلبية تجاه اللغة العربية؛ غير أن التجربة الجديدة نجحت في تلميع صورة اللغة العربية في الصومال من خلال الاهتمام بمهارة التحدث وربط الدروس بالعربية المعاصرة التي تستخدم في وسائل الإعلام. وقد آتت التجربة أكلها في زمن قياسي وقفز الإقبال عليها من سبعة طلاب سجلوا أسماءهم في يوم انطلاق

التجربة في شهر يونيو عام 1993، على ما أتذكر، إلى آلاف طلاب في العامين التاليين وشكل أوائل المتخرجين روّادًا يشار إليهم بالبنان في المدارس والمعاهد والجامعات في الداخل والخارج"[49].

وبناء على ما سبق يمكن إجمال الملامح العامة لهذه المدرسة فيما يأتي:

1- تتركز أهدافها على تعليم المهارات اللغوية وخصوصا مهارتي التحدث والاستماع.
2- تركز على تعليم العربية المعاصرة التي تستخدم في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والصحف والمجلات والحوارات والمقابلات الصحفية، وتدع للطالب فرصة التعمق في المفردات التراثية.
3- تتميز بتركيزها على مادتي الحوار وعربية وسائل الإعلام، كمدخل لتحقيق مهارتي التحدث والاستماع حيث يدرس الطالب حوارات حية تمس بالواقع، وتقارير وأخبار من مختلف الموضوعات الحياتية.
4- تعطي الأولوية لتطبيق ما تعلمه الطلبة من خلال الحوارات الثنائية في داخل الفصل، والحوارات العامة في ساحة المعهد والمسابقات والأنشطة التفاعلية، ويحرز الطالب تقدما ملحوظا خلال الأشهر الأولى.

نظام الدراسة والمناهج التعليمية:

1- تتبع هذه المدرسة نظام الدورات التعليمية، ويستمر الطالب في المعهد سنة واحدة، موزعة على ثلاث مستويات (أساسي، متوسط، متقدم)، وتستمر الحصة غالبا ساعة أو 45 دقيقة.
2- تعتبر فعالية الحوار المفتوح في فناء المدرسة من أهم أدبيات تلك المعاهد، حيث يجتمع طلاب المعهد وغيرهم من الراغبين في ممارسة العربية في فناء المعهد يوميا، فيبدأ النقاش الثنائي بين الطلبة كل اثنين على حدة، أو تجتمع طائفة منهم لمشاهدة حوار ساخن بين طالبين بارعين في الحوار، وتدور أغلب النقاشات حول الأحداث السياسية محليا ودوليا، وذلك بعد أن درس الطلاب تقارير صحفية، وحوارات ساخنة حول الأحداث السياسية.وتعتبر هذه الفعالية محاولة لخلق مجتمع لغوي عربي مصغر يكون عوضا عما يستدعيه تعلم اللغة الثانية من العيش في مجتمعه. وفعلا لقيت هذه المبادرة قبولا جماهيريا كبيرا، حيث لا نخلو ساحات تلك المعاهد من عشرات الروّاد صباحًا ومساءً.
3- هناك مسابقات بين الطلاب والطالبات في الفصل الواحد، أو بين فصلين، أو بين طلاب الفترة الصباحية والمسائية، ومسابقات خارجية بين معهدين أو أكثر، وتتركز تلك المسابقات حول ترجمة الكلمات من الصومالية إلى العربية ومن العربية إلى الصومالية، وترجمة الأخبار، وإدخال الكلمات في جمل، كما أن هناك فقرات إذاعية يقوم الطلاب بعرضها، ونقاشات ثنائية يكون أقوى المتحاورين هو الفائز.
4- أما من ناحية المناهج فليس هناك مناهج دراسية موحدة أو مطبوعة توزع على الطلبة في تلك المعاهد، وإنما تعتمد على مذكرات من إعداد المدرسين، وإن كانت تلك المذكرات تحولت بمرور الزمن إلى مناهج يتوارثها الأجيال، ويأخذها الطلاب من أساتذتهم ثم يقومون بتدريسها لطلابهم بعد تخرجهم من المعهد، ومن أهم المقررات التي تُعدّ قاسمًا مشتركًا بين المراكز المنبثقة من هذه التجربة ما يأتي:

أ. **الحوار**: وهو أهم مقرر من مقررات هذه المدرسة. ويبدأ عادة بحوارات قصيرة حول الحياة اليومية مثل الذهاب إلى المدرسة والعودة منها، وما يجري في الطريق،وما يقال في الأسواق والمستشفيات والفنادق ونحوها ، ثم يدرس حوارات متوسطة حول الأحداث السياسية محليا ودوليا، ثم يتدرج في المستوى المتقدم، فيدرس حوارات طويلة حول موضوعات سياسية ساخنة حول الأحداث التي تتناقلها وسائل الإعلام، ويراعى في كل ذلك أن يكون المتحاوران على طرفي نقيض لتحميس الحوار.

ب. **عربية وسائل الإعلام**: وهو الشق الثاني من مرتكزات هذه المدرسة إلى جانب مقرر الحوار.ويُدرس هذا المقرر في ثلاثة مراحل، يدرس في الأولى منها كلمات لغة الأخبار من مختلف الموضوعات كالحروب والمظاهرات والانتخابات والفيضانات والاقتصاد والرياضة ..إلخ، ضمن جمل وعبارات بسيطة لا تتجاوز سطرًا واحدًا في الغالب.ويدرس في الثانية تقارير صحفية موجزة حول الموضوعات المذكورة ومثيلاتها، وفي الثالثة يتوسع في مفردات عربية وسائل الإعلام، ويدرس تقارير طويلة، ويطلب منه كذلك كتابة تقارير عن الأحداث المحلية.

ج. **القواعد:** إلى جانب المادتين المذكورتين تدرّس بعض المعاهد كمعهد البخاري (الأم) القواعد النحوية بطريقة وظيفية تبدأ أولا بالموضوعات الأساسية التي يحتاجها الطالب في حياته الوظيفية مثل التعريف والتنكير والفعل والحرف وأسماء الإشارة وأداوت النفي والاستفهام، وغيرها من موضوعات النحو والصرف التي يحتاجها وظيفيا بشكل تدريجي.ولكن فيما يبدو فإن الاهتمام بدراسة القواعد اختفى بمرور الزمن وأصبح التركيز على المحورين السابقين.

يقول الأستاذ عمر محمود عن نظام الدراسة والمناهج في تلك المعاهد" بعد فتح معهد البخاري في أوائل التسعينيات من القرن الماضي فكرنا في ابتكار طريقة تفاعلية لتدريس العربية من خلال حوارات قصيرة وقواعد نحوية مبسطة تقدم للطالب في البداية وعندما يتقن الحديث عن اليوميات مثل الذهاب إلى المدرسة والعودة منها، وما يجري في الطريق ،وما يقال في الأسواق ، والعيادة والمستشفى والفنادق بالإضافة إلى دروس نحوية ابتدائية مثل تعريف الاسم والفعل والحرف وأسماء الإشارة وأداوت النفي والاستفهام وغيرها. كل هذا خلال ثلاثة شهور . ثم في وسط الدراسة يتلقى الطالب حوارات عن الحياة اليومية، لكن في هذه المرة يدرس أيضا لغة الأخبار والصحف، وقواعد نحوية وصرفية لكن مطورة، بينما تخصص للإلقاء والمحاورات بين الطلبة أياما معلومة. وعندما ينهي الطالب من هاتين المرحلتين يتلقى حصصا في المفردات من جميع مناحي الحياة مفردات طبية، مفردات في السياسية، في المدينة، في المطارات والموانئ والمواصلات العامة..، ثم يدرس كيفية كتابة الرسائل وعلامات الترقيم.. وعندما تنتهي هذه الدورة يكون الطالب قادرا على التحدث بالعربية وفهم لغة الأخبار في الإذاعات والقنوات الفضائية وقراءة الصحف والمجلات"[50]

إيجابيات هذه المدرسة:

1- تشكل هذه التجربة نقطة تحول مهمة في تاريخ تعليم العربية في الصومال، حيث نجحت في كسر طوق العزلة المفروض على تعليم العربية في الصومال الذي بعّد الشقة بينها وبين الواقع، وذلك من خلال وسائل تفاعليه مبتكرة تخدم الأهداف الأساسية من تعلم اللغة، كما أنها نجحت في تلميع صورة اللغة العربية في الساحة التعليمية الصومالية.

2- ساهمت في بلورة مجتمع ثقافي عربي صومالي عريض يتفاعل مع المثقفين والعاملين في المجال الإعلامي في العالمين العربي والإسلامي، كما أنها أصبحت رافدا أساسيا للمؤسسات الإعلامية العربية، علما بأن أغلب الكتاب والصحافيين الصوماليين العاملين في المؤسسات العربية الإعلامية اليوم بمختلف أنواعها هم من المتخرجين في تلك المعاهد.[51]

3- تغرس الثقة في نفوس المتعلمين، وتدربهم على الإلقاء وممارسة العربية من خلال الحوار، كما أنها تغرس فيهم موهبة الإبداع وكتابة التقارير والمقالات[52]

4- يحقق الطالب تقدما ملحوظا في مهارة المحادثة في وقت قياسي، كما أنه يحرز تقدما في فهم الصحافة العربية، وهذا كله يغذي دافعيته نحو تعلّم العربية. وقد أفادني شخصيا أحد طلابي في المعهد الإفريقي لتعليم العربية للناطقين بغيرها في مدينة بوصاصو بعد ستة أشهر من دراسة دورة الحوار وعربية وسائل الإعلام أنه لم يكن يفهم شيئا من أخبار (الجزيرة) قبل الدورة إلا ما يفهمه من معطيات الصورة، وأنه يفهم بعد ستة أشهر 80% من الأخبار" ثم أردف قائلا" والعجيب أنهم يتحدون بدروسنا".

سلبياتها:

1- غياب جهة تربوية رسميه تشرف على هذه المعاهد، أدّت إلى طغيان الأهداف التجارية على الأسس العلمية، خصوصا بعد الإقبال الجماهيري الكبير الذي حظيت به تلك المعاهد، فكثرت العمليات الارتجالية في هذا الاتجاه، وتصدى لعملية التدريس من هم ليسوا أهلا لها، وذلك في ظل غياب القوانين الضابطة لفتح المؤسسات وقياس الجودة التعليمية.[53].

2- غياب المنهجية في تقديم المحتوى، إذ لا يوجد هناك منهج متكامل تتبعها تلك المعاهد، بل الأمر متروك لاجتهادات المدرسين، وهذا ما يؤدي إلى العشوائية في طرح الموضوعات واختيار المواد التعليمية[54]

3- يُحمّل المدرسون أنفسهم عبئا ثقيلا من الحصص في الفترتين الصباحية والمسائية، أو يكون لدى بعضهم عملا أساسيا آخر، ويأتي إلى المعهد في الفترة المسائية؛ وهذا يؤدي إلى الإرهاق وضعف الأداء، وبالتالي يختار المدرس في حصصه الأساليب قليلة الفعالية ليوفر لنفسه قسطا من الراحة التي يفتقدها.

4- يَدرُسُ الطلبة في المعاهد بشكل ثانوي بعد الفراغ من دراستهم الأساسية في المدارس النظامية والكليات، ولساعات قليلة لا تتجاوز ساعتين أو ساعة يوميا، وهذا بؤثر سلبا على تحصيل الطلاب من جانب، واستقرار التعليم من جانب آخر.ولهذا يكثر التسرب من التعليم لدى دارسي تلك المعاهد[55]

5- اختلاف مستوى الطلبة في الفصل الواحد، حيث لا يوجد هناك معايير ثابتة للقبول والتسجيل، وهذا يؤثر على الطلبة نفسيا ، ويشوش العملية التعليمية.

6- غياب التدريبات التحريرية والتركيز على مهارة التحدث يؤدي إلى غياب التوازن في عملية تعليم المهارات اللغوية.

7- استخدام اللغة الصومالية في الفصول الدراسية، حتى مع طلاب المستويات المتقدمة. وكان بالإمكان الاكتفاء باستخدامها في المستوى الأساسي، وتطبيق التحدث بالعربية في المستويين الثاني والثالث.

8- تركيز تلك المعاهد على مهارة التحدث، وعربية وسائل الإعلام، وإهمال غالبيتها لتدريس القواعد والنحو أدى إلى ضعف منتسبيها في القواعد ، وبالتالي، أصبح من المعتاد أن تجد طالبا بارعا في التحدث وكتابة التقارير، ولكنه يفتقر إلى القواعد الأساسية كاستعمالات حروف الجر، وال التعريف ونحوها.

9- تكثر الترجمة الحرفية من الصومالية إلى العربية ونقل القوالب الصومالية إلى العربية في المجتمع التعليمي في تلك المعاهد[56]، حيث يحاولون إيجاد مقابل عربي لكل مثل أو حكمة أو مقولة صومالية، ولهذا تكثر في ساحاتها بعض العبارات والأمثال المولّدة التي ربما لا يفهم العربي فحواها.

الخلاصة

من خلال هذه السرد المختصر تبين لنا عراقة الثقافة العربية في الصومال وتغلغل العربية والحرف العربي في المنطقة منذ القرون الأولى للهجرة، ولكن مع ذلك، وللأسباب التي تعرضنا لها سلفًا، لم يحدث تعريب شامل للمنطقة الصومالية كالذي حدث في السودان ومصر ودول المغرب العربي، ولهذا تدرس العربية في الصومال لغة ثانية، وقد تعرفنا على عمق الدرس اللغوي في الصومال من خلال تجربتي الحلقات العلمية والمعاهد العربية وفيما يلي بعض التوصيات لتطوير هاتين التجربتين:

1- الحلقات العلمية هي المعقل الأساس لنشر العربية وعلومها في الصومال، وهي إلى ذلك معلم أساسي من معالم الثقافة التلقليدية للصوماليين، ولهذا ينبغي رعايتها وتطوير أساليبها ووضع إستراتيجيات لاستثمارها في نشر العربية. وقد يكون أولى الخطوات في هذا الاتجاه إعداد دراسات علمية دقيقة عن عنها، واقتراح سبل تطويرها وفق مستجدات العصر ومتطلباته.

2- أثبتت تجربة المعاهد في الصومال على أهمية عربية وسائل الإعلام في تعليم العربية للناطقين بغيرها، فالطالب يتعرض بشكل يومي لسماع الدروس التي أخذها في الفصول الدراسية من خلال نشرات الأخبار في القنوات العربية، وهذا يدعم دافعيته نحو تعلم العربية،ولهذا نوصي مؤسسات تعليم العربية للناطقين بغيرها العناية بتلك التجربة، كما نوصي الباحثين بدراستها وتقييمها والإفادة منها في إعداد برامج تعليم العربية لغة ثانية.

3- نوصي الجهات الرسمية في الصومال الاهتمام بتلك التجربة وتطويرها، وإنشاء إدارة خاصة لها في وزارة التربية، بما أنها أصبحت نمطا تعليميا ناجحا ومنتشرا تنتسب إليه عشرات المعاهد والمراكز في شرق البلاد وغربها.

4- قد يكون من المفيد الجمع بين تدريس السلسلات المعاصرة في تعليم العربية للناطقين بغيرها كسلسلة (العربية بين يديك) و(العربية للناشئين) و(العربية للعالم) ونحوها، إلى جانب تدريس مادتي الحوار

وعربية وسائل الإعلام، ومقرر الخط العربي. حيث يتعلم الطالب من السلسلات الكثير من المفردات والقواعد النحوية المبسطة، ويجد فيها تدريبات متنوعة في المهارات الأربع والأنماط النحوية [57].

5- نوصي بتقوية دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وكتابة البحوث والدراسات حول هذا الموضوع، ولفت أنظار القائمين على وزارات الثقافة والإعلام والمؤسسات الإعلامية العربية إلى الدور الريادي الذي يمكن أن يقدموه لنشر اللغة العربية. وهناك جهدٌ ريادي يستحق التثمين قامت به شبكة الجزيرة الإعلامية بعد أن فتحت صحفة خاصة بتعليم العربية، تحتوي على دروس منتقاة من النشرات الإخبارية مصحوبة بالمشاهدة والتدريبات والأنشطة التعليمية المتنوعة.

الهوامش

[1]- محمد حسين معلم : الثقافة العربية وروادها في الصومال 186 دار الفكر العربي بيروت 2011

2- من أقدم الكتاب الذين أشاروا إلى وصول العرب لمنطقة القرن الإفريقي الكاتب الإغريقي جالينوس الذي زار المنطقة في الألف الأول للميلاد، وكتب رسالة سماها " الطواف حول البحر الإرتري أو الطواف حول البحر الأحمر" وهي مطبوعة ومترجمة إلى العربية. انظر كذلك: تاريخ ولغة الشعب الصومالي:عبد الله عمر منصور66 طبعة يوسف عبد الله حسن (د.ت).

3- محمد حسين معلم: الثقافة العربية وروّادها في الصومال 36

4- راجع تاريخ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم دلائل النبوة للبيهقي 129/2، دار الكتب العلمية بيروت، والرحيق المختوم للمباركفي 67 دار الرحمة 1999.

5- محمد حسين معلم : الثقافة العربية وروّادها في الصومال 38

6- رجب عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي زيلع ونصارى الحبشة ص 86 دار النهضة العربية القاهرة 1985.

7- عبد الرحمن محمد النجار،الإسلام في الصومال62 مطابع الأهرام التجارية القاهرة 1973، وحمدي السيد سالم: الصومال قديما وحديثا 348 مقديشو 1963، محمد عبد الكريم وآخرون: تاريخ التعليم في الصومال 8 ، مقديشو 1978م

[8]- سميت بذلك لأنها كانت على جانب البحر كالطراز له.

9- راجع تاريخ السلطنات الإسلامية في شرق إفريقيا في كل من : الإلمام بمن في أرض الحبشة من حكام المسلمين للمغريزي، : مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، وصبح الأعشا في صناعة الإنشاء للقلقشندي، وتحفة النظار لان بطوطة، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، وانظر كذلك في : العلاقات السياسية لمسلمي زيلع ونصارى الحبشة لرجب عبد الحليم، والثقافة العربية وروداها في الصومال لمحمد حسين معلم، وكشف السدول عن الصومال ومماليكها السبع للشيخ أحمد عبد الله ريراش.

10- بشير مهدي علي: الحرف العربي في كتابة اللغة الصومالية 63 وثائق ندوة كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي الخرطوم 2002.

11- حفظت لنا مصادر التاريخ أسماء بعض الأسر والمجموعات التي هاجرت إلى سواحل القرن الإفريقي منها على سبيل المثال هجرة العقيليين، وهجرة المخزوميين، وهجرة الزيديين، وهجرة بني الحارث، وهجرة بني جليد، وهجرة الإخوة السبعة....إلخ انظر الثقافة العربية وروادها في الصومال 36 وما بعدها .

12- محمد حسين: الثقافة العربية وروادها في الصومال 42 نقلا عن محمود الحويري: ساحل إفريقيا الشرقي منذ فجر الإسلام حتى الغزو البربغالي 218-217

13 محمد حسين معلم: الثقافة العربية وروادها في الصومال 44 نقلا عن غيان بن علي جريش : الهجرات العربية إلى ساحل شرقي إفريقيا 21.

14- محمد حسين معلم : الثقافة العربية وروداها في الصومال: محمد حسين معلم: 42

15محمد علي عبد الكريم وآخرون: تاريخ التعليم في الصومال ص4 (مرجع سابق)، وانظر كذلك الحرف في كتابة اللغة الصومال بشير مهدي علي: 63

[16]- يذكر أن الشيخ يوسف الكونين ابتكر هذه الطريقة في القرن الخامس الهجري انظر : الحرف العربي في كتابة اللغة الصومالية يشير مهدي: 72

[17] عمر ورسمة: مدخل إلى أدب الطفل الصومالي 40 وما بعدها، صنعاء عبادي للدراسات والنشر 2007. ومحمد عبد الكريم وآخرون: تاريخ التعليم في الصومال 11 وما بعدها.

[18]- راجع أخبار رحلات علماء الصومال العلمية إلى حواضر الجزيرة العربية في : الثقافة العربية وروداها في الصومال: محمد حسين 297 وما بعدها.

19- محمد علي عبد الكريم وآخرون : تاريخ التعليم في الصومال (مرجع سابق)4، وحسن مكي محمد: السياسات الثقافية في الصومال الكبير6

20- تحتفظ غالبية القبائل الصومالية بأصولها العربية، وتُحفَظ أنسابها المتصلة بأجدادها العرب لأبنائها حتى اليوم، انظر: السياسات الثقافية في الصومال الكبير: حسن مكي محمد 38

21- رحلات ابن بطوطة، 247 دار التراث بيروت 1968. راجع كذلك: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : الشريف الإدريسي 48/1 عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع 1989، و مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي 107/1 مكتبة الرياض البطجاء، ومعجم البلدان : ياقوت الحموي 171 الطبعة المصرية 1906.

22- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة 247.

23- محمد حسين معلم: الثقافة العربية وروادها في الصومال 134 نقلا عن المغريزي : الإلمام بمن بأرض الحبشة من حكام المسلمين 7

24- محمد عبد الكريم وآخرون: تاريخ التعليم في الصومال 3

25- محمد حسين معلم: الثقافة العربية في الصومال 134، نقلا عن ياقوت الحموي: معجم البلدان 369/1

26- انظر الأدوات في اللغتين العربية والصومالية دراسة تقابلية: عمر محمد ورسمة، رسالة ماجستير في جامعة تعز 2010، وعبد الرحيم حاج يحيى : العربية الفصحى في اللغة الصومالية ، الرياض 2007م.

27- راجع أخبار هجرات القبائل العربية إلى مصر وشمال أفريقيا وغيرها من مناطق الفتح الإسلمي في موسوعة القبائل العربية محمد سليمان الطيب دار الفكر العربي القاهرة 1997هـ

28- محمد حسين معلم: الثقافة العربية وروادها في الصومال 130

[29]- نفس المصدر 131

30- حمدي السيد سالم: الصومال قديما وحديثا 359/1

31- اقرأ الأدوار الثقافية للعلماء الصومالي في العالم الخارجي في الثقافة العربية وروادها في الصومال محمد حسين معلم 113 ، انظر كذلك الصفحة 135 من نفس المرجع.

32- الشيخ عبد الله عمر نور: مسيرة الإسلام في الصومال الكبير 144 وما بعدها مقديشو 1424 هـ

33- محمد حسينن معلم: الثقافة العربية وروادها في الصومال 245، والشيخ عبد الله عمر نور: مسيرة الإسلام في الصومال الكبير 146

34- محمد عبد الكريم وآخرون: تاريخ التعليم في الصومال 20 وما بعدها

[35] - شرف الدين العمريطي: متن الدورة البهية نظم الأجرومية (البيت التاسع)

36- محمد حسين: الثقافة العربية وروادها في الصومال 143

37- الشيخ عبد الله نور عمر: مسيرة الإسلام في الصومال الكبير 148، ومحمد عبد الكريم وآخرون: تاريخ التعليم في الصومال 20 وما بعدها

38- زين كمال الخويسكي : قطوف في علم اللغة التطبيقي منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض 2009م

39- انظر أهمية تلك المهارات في: تدريس فنون اللغة العربية : علي أحمد مدكور دار الشواف 1991م

40- هناك قصص كثيرة في هذا السياق حدثت لبعض طلاب العلم المتبحرين في فني النحو والصرف، حينما انضموا إلى الجامعات العربية كجامعة الإيمان والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ونحوها.

41- انظر الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي ، قطوف في علم اللغة، زين كمال الخويسكي 85

42- نفس المصدر 87

43-عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية 89، دار المعرفة الجامعية القاهرة 2013م

44- اقرأ متطلبات دراسة النحو وظيفيا، في: نحو تعليم اللغة العربية وظيفيا ص51 وما بعدها، دوود عبده مؤسسة دار العلوم الكويت 1979م

45- الأستاذ قاسم أحمد سهل القاسمي: أحد مؤسسي معهد البخاري ومراسل الجزيرة نت في مقديشو حاليا (مقابلة 2014/2/11)

46- تم تقسيم الصومال الكبير في القرن التاسع عشر إلى خمس وحدات سياسية بين قوى الاحتلال الأوروبي وإمبراطورية الحبشة الموالية لهم، والأقسام الأربعة هي الصومال البريطاني والصومال الإيطالي وقد اتحدا تحت اسم جهورية الصومال في 1960، والصومال الفرنسي (جيبوتي) والصومال الإيثوبي (إقليمي هرر وأوجادينيا) والصومال الكيني وهي الولاية الشمالية الشرقية لكينيا.

47- مقابلة مع الأستاذ عمر محمود أحد مؤسسي معهد البخاري لتعليم اللغات، ومدير مكتب الجزيرة في مقديشو حاليا 2013/6/28م.

[48]- يشير إلى قوات الأمم المتحدة (يونيصوم) التي وصلت إلى الصومال عام 1993، وخرجب منها دون جدوى في مارس 1995.

[49]- الأستاذ قاسم أحمد سهل القاسمي: أحد مؤسسي معهد البخاري في مقديشو، ومراسل الجزيرة نت في مقديشو حاليا، وهو صاحب سلسلة تعليم لغة الصحافة التي اشتهرت في ميدان تعليم العربية في الصومال بالاشتراك مع زميلة الأستاذ سولي.

[50]- الأستاذ عمر محمود (مقابلة 2013/6/28م)

[51]- يعمل في شبكة الجزيرة الأستاذ عمر محمود والأستاذ قاسم سهل وهما من من مؤسسي معهد البخاري، ومن روادها أيضا الصحفي عبد الفتاح أشكر مراسل الجزيرة نت في شرق الصومال، والصحفي شافعي مراسل الجزيرة في مقديشو، وعبد الرحمن بخاري مراسل قناة العربية في مقديشو، وليس هذا فحسب بل لا نبالغ إذا قلنا أن أغلب الكتاب والصحافيين الصوماليين ذوي الثقافة العربية تأثروا بهذه التجربة بشكل أو بآخر..

[52]- مقابلة مع الأستاذ عبد الفتاح نور أشكر مراسل الجزيرة في ولاية بونت لاند شرق الصومال وهو أحد المتخرجين في هذه التجربة.

[53]- قاسم أحمد سهل القاسمي (مقابلة 2014/2/11)

[54]- أيان محمد علي: ماجستير في تعليم العربية للناطقين بغيرها، باحثة في مرحلة الدكتوراة في علم النفس التربوي، وهي إحدى المتخرجات من معهد الإمام البخاري في بلدة حواء جنوب غربي الصومال (مقابلة 9 فبراير 2014)

[55]- أحمد إسماعيل سليمان: مدير معهد الإمام مسلم في لاسعانود ، وهو من متخرجي معهد البخاري في لا سعانود (مقابلة 2014/2/10م)

[56]- أيان محمد علي: ماجستير في تعليم العربية للناطقين بغيرها، باحثة في مرحلة الدكتوراة في علم النفس التربوي، (مقابلة)

[57]-رأينا ثمار الجمع بين تدريس السلسلات إلى جانب الحوار ولغة الصحافة والخط العربي، أثناء عملنا في المعهد الإفريقي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها التابع لجامعة شرق إفريقيا في بوصاصو وجلرووي شرق الصومال، وتُطبق أيضا في معهد اللغة العربية التابع لجامعة نوجال في لاسعانود، ومعهد الإمام مسلم في المدينة نفسها.